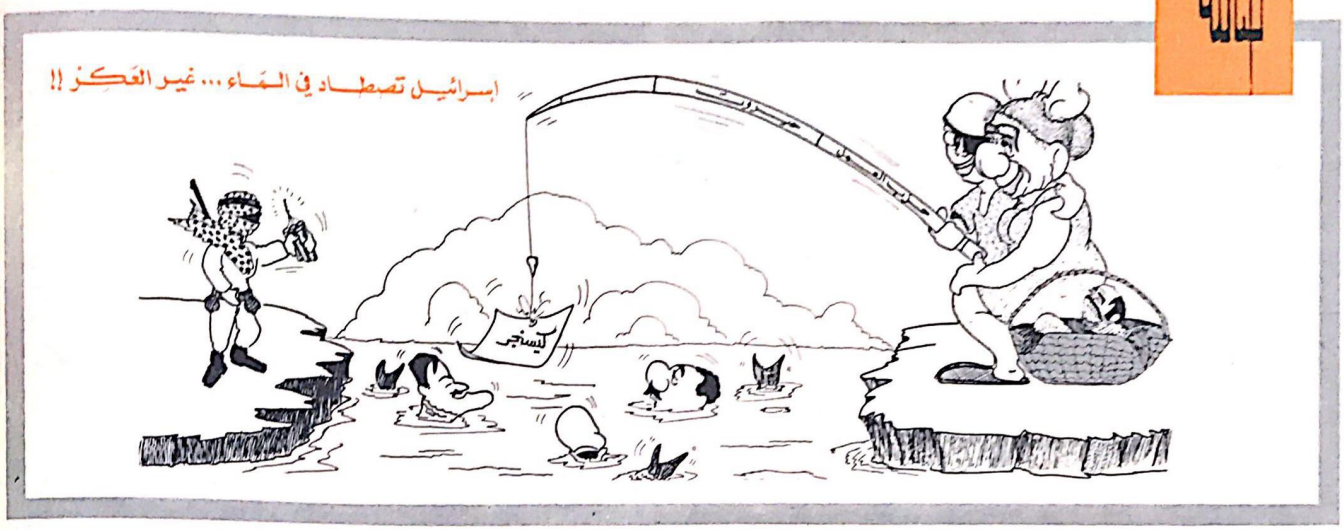

كلهم سادرون يا وطني...
فمن ذا الذي يرميه بالحجر الأول

يوم ميلاد ايلول . اعلن ابناء العمومة كلهم حقدهم على جزارك يا وطني ، وقامت الدنيا وقبل وقتها انها لن تقعد ، والقيت اكثر الخطب حماسة . ولو جمعنا كل الكلمات التي قيلت ورصفناها لصارت طريقا معبدا يصل كل العواصم والامصار بتل ابيب دون عناء . وطبّلوا لك يا شعبي ، وكانوا قد شدّوا على طبولهم شفاف قلبك وحدقات عيون اطفالك. وباسم عشرين الف شهيد اعلنوا حربهم على الجزار من فرشهم الدافئة ومن خلف مكاتبهم ومن حول طاولات الانس والنرد والشيش بيش ..

ولكن يا هنيّة ، ما لابناء العمومة لم يطلّوا بعد ؟
وما للخيل تسرج والطبول تدق لي عن بعد ؟
اموت هنا ونخبي تشرب الركبان
الا لابرآتهم من دمي عمان
غدا .. ماذا يقول الغد ؟
اما في الارض .. من طرف المحيط الى الخليج
يد ولو بتحية تمتد ..

ولكن يا رفيق .. الم تسمع بعد بالجهاد الاكبر يعلن بالامس بلعلعة « الله اكبر » من اقصى الجزيرة فتردد صداه كل الامصار .. ويقال بأن الخيل تسرج . وان السيوف تشحذ ، وان الرسل قد عادت بالخبر اليقين الذي يقول بأن امة العرب وحدت كلمتها بعد الف وسبعمائة وكذا عام بالتمام والكمال .

× × ×

انهم يعيدونك اذن يا ايلول بعد ثلاث سنوات ووجهك اكثر بشاعة.. كنت في ميلادك الاول حربة في خاصرتنا فصرت اليوم سوق عكاظ هزائمهم و « قمة » وحدة صفوفهم . كنت ايلول عمان ، فصرت ايلولهم جميعا .. بين الماء والماء ..

مرحى ايلول .. فقد ظللنا خمسة وعشرين عاما ننتظر ان يتوحد امراء المؤمنين اصحاب الفخامة والجلالة ، ويبدو ان لكل صبر فرَج ، وها هو صبرنا المرّ يجد الفرَج منبثقا من بين عينيك يا ايلول .. فآخر الانباء ــ عفوا ــ « آخر الاجراءات ، تقول ان اولياء الامر منا قد وحدوا الكلمة وانهم باذن‌الله « داعسون » !

ولكن يا وطني .. الم تبلغك بعد الرسل الى اين وجهة « الفرسان » ، الم يقولوا لك الى اين هذه الخيل التي تحفر في لحمك صعودا ونزولا .. الم يهمس باذنك احدهم ان تفتح ذراعيك لابناءك الفاتحين بعد طول انتظار .. اما سمعت يا وطني وانت بين الملفات وعلى طاولات الصلح والمفاوضات وفي احصاءات عائدات البترول من الذهب .. اما سمعت اسم يافا .. هل قالوا يافا ؟!

تعال اذن ايها المسحوق تحت نعال الاحذية الانكليزية الانيقة اهمس لك ، هل تذكر ايلول عمان ؟!

يتكلم جرحك يا عمان
لكن من يصغى والاذان
رهنت عند النخاسين
وفلسطين
درس محذوف من جغرافية البيّاعين
ليدوّن ثانيه
في تاريخ الاحزان

واذا كانت آذانهم قد رُهنت عند النخّاسين فاذنك قد سمعت يا وطني ما قاله جرح عمان ..

ان « النشامى » يا وطني يعدون لك ايلولا آخر ..

فانهض يا وطني من الملفات العتيقة ، انهض من آبار البترول ، انهض من ادراج امراء المؤمنين الانيقة، انهض من جيوبهم ، من تحت السنتهم ، من بين اسنانهم من تلافيف ادمغتهم ، من بين سطور رسائلهم السرية ، من الخط الوهمي الواصل بين شفاههم وآذان بعضهم ..

انهض .. فان القمقم العتيق ما عاد يستوعبك .. حجّم المتصدرين باسمك فانك لم تعد « كلمة » ..

× × ×

والجزار ــ يا سادة ــ هذا الجزار الذي صافحتموه، هل استحم بماء زمزم قبل ان تحتضنوا كفه .. هل نظرتم الى اكفكم بعد ان لامست كفه المجبول بماء عيون صغارنا .. الم تحسوا لزوجة دماء « سفيان » و « ابو علي » وعشرين الف"ابو الليل"بين اصابعه ..

هل نسيتم يا اولى الامر منا ..

ما نسينا نحن ..

ما نسينا الامهات يضعن اولادهن ويجدنهم متفحمين على « بنوك » المدارس وتحت طاولاتها .

ما نسينا سعدى الرضيعة التي تفحمت « المصاصة » بين شفتيها ونحن ندفنها في باحة مدرسة الاشرفية لتظل شارة بين عيون الصغار .

ما نسينا « عزا هاي بنت ام سعيد .. قولولها ماتت ما تدور عليها » .

ما نسينا اطفال مستشفى الاشرفية والنشامى يقطعون اكفهم « منشان لما تكبر ما تحملش الكلاشن » .

ما نسينا والضابط يشير الى جامع الاشرفية ويقول للبدو « هاذي القدس بدنا نحررها من اليهود .. اهجموا ! »

ما نسينا ايها السادة فكيف بالله نسيتم ؟

على جبل العذاب : امامهم ، ولاجلهم
حملت آلافا من الصلبان
ولن يجدوا لهم عذرا فما شُبهّت حين صُلبت

ما شُبهّنا حين صُلبنا .. عشرون الفا أيها السادة .. عدّوا على اصابعكم ..

لن تكفي ؟.. اذن عدّوا على اصابعكم واصابع شركائكم .

فالجزار ما اشترى وجها جديدا ..

وزمزم جفّت .. وذاكرتكم ؟..

اما كان بينكم وبينه بحر من الدماء يستحيل عبوره !

عرفوا الغريم وامسكوه
ويقال كان يخب في لحمي ويشرب من دماي
غضبوا عليه طوال ساعات احتضاري
ثم مت فتوجوه

ولكنه عصر الردّة .. حيث مسيلمة وشم على جبين الساسة ، وحيث التوابين في كل زقاق .. وحيث الرقاب تدنو لمن يستطيع ان يرفع صوته في حضرة السلطان .. « انكم تحرجوني امام العرب ؟! » هكذا قال للسلطان وكان حريصا على ان يبدو « غير منحاز » للعرب ، لكنه محرج .. فقط .. فدنت له الرقاب .

و .. كلهم سادرون يا وطني فمن ذا الذي يرميه بالحجر الاول :

وتبادلوا رأسي فلم يركب على عنق
وعاد الي بالجرح النبيل
واعود ، لن يتصدروا باسمي
فجرحي جاء ينكرهم
وتنكرهاستباحوا مقلتاي
وإذا حسبتهم حسبتهم في صف غاصبك الدخيل

اذن .. فالبند الساخن على جدول اعمال وحدة الصفوف واعادة المياه الاخوية الى مجاريها هو « ماذا سنفعل بالرأس الذي لا يركب الا على عنقه ؟. حذار !.

انه سؤال خطير ، وانهم لواجدون الجواب عليه

لقد منحوا وساما رفيعا بالامس لمن قال بصراحة « اننا نملك الفانتوم والعرب يعرفون جيدا معنى ان تضرب الفانتوم في العمق » .

وهذه ليست ملاحظة .. انها مؤشر خطير

وسام لمن يستطيع ان يرفع صوته في حضرة السلطان والرأس الذي لم ينكسر بعد رغم اعلى‌درجات التعاون الاخوي يجب ان يقطع !

لقد قرر السادة ثم رفعوا دمك في كؤوسهم نخب وحدة الصفوف .

لكن عمان تلملم جرحها القديم وتضحك .. ترسل رسلها الى اطراف الارض يحملون البشارة ووعدا بالنهوض .

ويقولون انهم قادرون على خنق صوتك .

وفي صفوف شعبنا الذي لم يتعب بعد رغم كل سُوء « ولد فلسطيني » يضحك من كل « القرارات الحاسمة » ويطبع كفه الدامي على جباه المقررين وعلى سبابته يحمل جرحه الدامي :

لكني لا اريد السكوت
فعندي الكلام المباح
وعندي السلاح
وفي خلدي ان سري على رأس رمح
وان الجياع الرماح
ومن اجل هذا سادخل أوهى البيوت
فاقبس ضوءا يُدلّ الحيارى
ومن اجل هذا لن اموت
ولن انجزا لحما ودارا ■■

نازك